

تفسير البحر المحيط

@ 478 أي : في حسنة ، أي : دار حسنة ، أو منزلة حسنة . ودل هذا الإخبار بالمؤكد بالقسم على عظيم محل الهجرة ، لأنه بسببها ظهرت قوة الإسلام كما أن بنصرة الأنصار قويت شوكته . وفي [دليل على إخلاص العمل] ، ومن هاجر لغير [هجرته لما هاجر إليه . وفي الإخبار عن الذين بجمله القسم المحذوفة الدال عليها الجملة المقسم عليها دليل على صحة وقوع الجملة القسمية خبراً للمبتدأ ، خلافاً لثعلب . وأجاز أبو البقاء أن يكون الذين منصوباً بفعل محذوف يدل عليه لنبؤانهم ، وهو لا يجوز لأنه لا يفسر إلا ما يجوز له أن يعمل . ولا يجوز زيداً لأضربن ، فلا يجوز زيداً لأضربنه . وعن عمر رضي الله عنه : أنه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاءه قال : خذ بارك الله لك فيه ، هذا ما وعدك في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أكثر ، ولأجر الآخرة أي : ولأجر الدار الآخرة أكبر ، أي : أكبر أن يعلمه أحد قبل مشاهدته كما قال : وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً . والضمير في يعلمون عائد على الكفار أي : لو كانوا يعلمون أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم . وقيل : يعود على المؤمنين أي لو كانوا يعلمون ذلك ل زادوا في اجتهادهم وصبرهم ، والذين صبروا على تقديرهم الذين ، أو أعني الذين صبروا على العذاب ، وعلى مفارقة الوطن ، لا سيما حرم الله المحبوب لكل قلب مؤمن ، فكيف لمن كان مسقط رأسه ؟ وعلى بذل الروح في ذات الله ، واحتمال الغربة في دار لم ينشأ بها ، وناس لم يألهم أجنب حتى في النسب . .

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ * فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْأَيَّاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ * وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْتِيَهُمْ خُذْلُهُمْ فِي تَقْلَابِهِمْ * فَمَكَرَهُمْ بِمُعْجَزِينَ * أَوْ يَأْتِيَهُمْ خُذْلُهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ * لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ } : نزلت في مشركي مكة أنكروا نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام وقالوا : [أعظم أن يكون رسوله بشراً] ، فهلا بعث إلينا ملكاً ؟ وتقدم تفسير هذه الجملة في آخر يوسف ، والمعنى : نوحى إليهم على السنة الملائكة . وقرأ الجمهور : يوحى بالياء وفتح الحاء ، وقرأت فرقة : بالياء وكسرهما وعبد الله ، والسلمي ، وطلحة ، وحفص : بالنون وكسرهما . وأهل الذكر : اليهود ،

والنصارى ، قاله : ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن . وعن مجاهد أيضاً : اليهود . والذكر :
التوراة لقوله تعالى : { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ } وعن
عبد الله بن سلام ، وسلمان . وقال الأعمش ، وابن عيينة : من أسلم من اليهود والنصارى .
وقال الزجاج : عام فيمن يعزى إليه علم . وقال أبو جعفر وابن زيد : أهل القرآن . ويضعف
هذا القول وقول من قال : من أسلم من الفريقين ، لأنه لا حجة على الكفار في إخبار
المؤمنين ، لأنهم مكذبون لهم . قال ابن عطية : والأظهر أنهم اليهود والنصارى الذين لم
يسلموا ، وهم في هذه الآية النازلة ، إنما يخبرون من الرسل عن البشر ، وإخبارهم حجة على
هؤلاء ، فإنهم لم يزالوا مصدقين لهم ، ولا يتهمون بشهادة لهم لنا ، لأنهم مدافعون في صدر
ملة محمد صلى الله عليه وسلم) ، وهذا هو كسر حجتهم ومذهبهم ، لا أنا افتقرنا إلى شهادة
هؤلاء ، بل الحق واضح في نفسه . وقد أرسلت قريش إلى يهود يثرب يسألونهم ويسدون إليهم
انتهى . والأجود أن يتعلق قوله : بالبينات ، بمضمرة يدل عليه ما قبله كأنه قيل : ثم
أرسلوا ؟ قال : أرسلناهم بالبينات والزبر ، فيكون على كلامين ، وقاله : الزمخشري وابن
عطية وغيرهما . وقد يتعلق بقوله : وما أرسلنا ، وهذا فيه وجهان : أحدهما : أن النية
فيه التقديم قبل أداة الاستثناء ، والتقدير : وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا
رجالاً حتى لا يكون ما بعد إلا معمولين متأخرين لفظاً ورتبة ، داخلين تحت الحصر لما قبلها
، وهذا حكاه ابن عطية عن فرقة . والوجه الثاني : أن لا ينوي به التقديم ، بل وقعاً بعد
إلا في نية الحصر ، وهذا قاله الحوفي والزمخشري ، وبدأ به قال : تتعلق بما أرسلنا داخل
تحت حكم الاستثناء مع رجالاً أي : وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات ، كقولك : ما ضربت إلا
زيداً بالسوط ، لأن أصله ضربت زيدا بالسوط انتهى . وقال أبو البقاء : وفيه ضعف ، لأن
ما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها إذا تم الكلام على إلا وما يليها ، إلا أنه قد جاء في الشعر
. قال الشاعر